

إيبارشية سمالوط  
اجتماع الخدام والخدمات  
كنيسة مار مرقس بسمالوط  
الجمعة ٢٠١٥/٢/٦ م

## شرح لمردّين من مردّات القُدّاس الإلهي

### أولاً: معنى المرد: "كما كان هكذا يكون ..."

يقول الكاهن في القُدّاس الإلهي: "أولئك ياربُ الذين أخذت نفوسهم، نيّحهم ... ونحن أيضاً الغرباء في هذا المكان، احفظنا في إيمانك وأنعم لنا بسلامك إلى التّمام. واهدنا إلى ملكوتك". فيقول الشّعب: "كما كان هكذا يكون، من جيل إلى جيل وإلى دهر الدّهور آمين".

وإنّ تعبير "واهدنا إلى ملكوتك"، يأتي في اليونانية<sup>(١)</sup>، كما في القبطية أيضاً، بمعنى: قُدنا أو أرشدنا في طريق ملكوتك. أي أنّ الله الآب هو قائد مسيرتنا في الطّريق إليه. أمّا الطّريق نفسه، فهو يسوع المسيح له المجد، الذي قال: «أنا هو الطّريق». فالمسيح هو طريقنا إلى الآب.

وتعبير "واهدنا إلى ملكوتك" لا يوجد في غير القُدّاس الباسيلي فقط. أمّا العبارة التّالية لهذا التّعبير مباشرة، وهي: "لكي وبهذا كما أيضاً في كلّ شيء ..."، فهي صلاة معروفة في التّلاثة قُدّاسات القبطية.

ولكن ما نمارسه فعلياً اليوم في القُدّاس، هو أننا قد نقلنا تعبير: "واهدنا إلى ملكوتك"، لما بعد مرد: "كما كان هكذا يكون ..."<sup>(٢)</sup>. فصار لهذا المرد، مفهوماً ليتورجياً، غير المفهوم المقصود به. كأنه مرد يختص بالمنتقلين والأحياء، وذلك تعبيراً لقول الكاهن: "أولئك ياربُ الذين أخذت نفوسهم نيّحهم ... ونحن الغرباء في هذا المكان احفظنا في إيمانك". ولكن الحقيقة، فإن هذا المرد يختص بالله نفسه. فالنّص اليوناني للمرد يقول: "كما كان ..."، أي "كما كان (هو) (١٧٧)<sup>(٣)</sup> هكذا يكون ...". فهو مردٌ تسبيح وتقدّيس وتمجيد، للآب والابن والرّوح القُدّس.

### بعض الأدلة التي تؤكّد صحّة المرد في نصّه اليوناني أنه مرد تسبيح وتقدّيس للتّالوث القُدّوس

إنّ النّص القبطي الصّعيد للقُدّاس الباسيلي لمخطوط الدّير الأبيض بسوهاج، يقول: "أولئك نيّحهم عندك. أمّا نحن الغُرباء هنا، فاحفظنا في إيمانك، واهدنا إلى ملكوتك". وهنا يأتي المرد المذكور.

القُدّاس الكيرلسي في نصّه القبطي، يقول فيه الكاهن: "... لكي يكون لنا جميعاً نحن الآخذين منهما، إيماناً بغير فحص، ومحبة بغير مراعاة، وصبراً كاملاً ... وتجديداً للنّفس والجسد والرّوح ... ومشاركة سعادة الحياة الأبدية وعدم الفساد، وغفراناً للخطايا". فيقول الشّعب: "كما كان هكذا يكون ...".

وهكذا نجد أن المرد يرد في القُدّاس الكيرلسي بدون أيّة إشارة تسبقه إلى نياح المنتقلين، أو حفظ الباقيين في الإيمان.

1- Kai odhgheson hmas en tē Basileia sou.

٢- جدري بالذّكر أنّ ابن سباع يذكر ذلك الأمر. أي أنّ تعبير: "واهدنا إلى ملكوتك"، يأتي بعد المرد، كما نردّد اليوم في كنائسنا. ومن هنا، يتّضح أنّ هذه الممارسة التي يذكرها ابن سباع، هي التي سادت، في حين أنّ معظم مخطوطات الخولاجيات، وحتى الخولاجي المطبوع تشير إلى غير ذلك.

انظر: يوحنا بن أبي زكريا بن سباع، مرجع سابق، ص ٢٥٥

٣- أي الآب. ويأتي هنا في صيغة ضمير العاقل الغائب.

أمَّا النَّصُّ اليوناني للقدَّاس المرقسي<sup>(٤)</sup>، ففيه يواصل الكاهن صلاته بدون أن يعترضها هذا المرد. فيقول: ”لكي يكون لنا جميعاً نحن الآخذين منهما، إيماناً بغير فحص ... وغفراناً للخطايا، لكي وبهذا كما أيضاً في كل شيء، يتمجد ويتبارك ...“<sup>(٥)</sup>.

وهو نفس ما نَحِجه القدَّاسين الباسيلي والغريغوري، في نصَّيهما اليونانيَّين، حيث يرد هذا المرد فيهما بعيداً عن أي ارتباط بينه وبين الرَّاقدين، والغرباء في هذا المكان.

فيقول الكاهن في القدَّاس الباسيلي اليوناني: ”أولئك ياربُ الذين أخذت نفوسهم، نيِّحهم وأهلِّهم للملكوت السموات، وأمَّا نحن الغرباء في هذا المكان، احفظنا في إيمانك واهدنا إلى ملكوتك، وانعم لنا بسلامك في كل حين، لكي بهذا كما في كل شيء، يتمجد ويرتفع ويُسبَّح ويتبارك ويتقدَّس اسمُك القدُّوس، الكريمُ والمبارك، مع المسيح يسوع، والرُّوح القدُّوس“.

فيقول الشعب: ”كما كان ...“.

ويقول الكاهن في القدَّاس الغريغوري اليوناني: ”لأنك أنت هو إلهنا الرَّحوم الذي لا يشاء موت الخاطيء مثل ما يرجع ويجيا ... يا من تصنع أكثر جدًّا ممَّا نطلب أو نفتكر، لكي بهذا أيضاً كما في كل شيء، يتمجد ويرتفع ويُسبَّح ويتبارك ويتقدَّس اسمُك القدُّوس، الكريمُ المبارك، مع أيبك فائق التَّقاوة، والرُّوح القدُّوس“.

فيقول الشعب: ”كما كان ...“.

ولعلَّ المرد ”بركتهم المقدَّسة تكون معنا آمين. المجد لك يارب ... يارب باركنا، يارب نيِّحهم آمين“، والذي يأتي حالياً بعد مجمع القدَّاسين في القدَّاس الإلهي، وهو مردٌ غير موجود في أيِّ من القدَّاسات القبطية الثلاثة في نصَّها اليوناني، لعلَّه كان تمهيداً لأنَّ يتعد المرد الذي أتى بعده، مباشرة، وهو ”كما كان هكذا يكون ...“ يتعد من جهة مفهومه، عن أن يكون مرداً مختصاً بتمجيد الآب والابن والرُّوح القدُّوس.

وهكذا يصير هذا المرد، مرداً ختامياً للأنافوراً كلّها، حيث بالاستدعاء الأخير، تكون قد انتهت كلُّ أفعال وأقوال التَّقديس. وهو ما نجد أصوله السَّحيقة في القِدَم في ليتورجية التَّقليد الرِّسولي لهيبوليتس، حيث يقول الكاهن بعد الاستدعاء الأخير مباشرة: ”لنسبِّحك ونمجدك بفتاك يسوع المسيح، الذي به لك المجد والكرامة مع الرُّوح القدُّوس، في الكنيسة المقدَّسة، الآن وإلى آباد الدهور. آمين“<sup>(٦)</sup>.

### ثانياً: معنى المرد: ”خلصتَ حقاً ومع روحك نصت بخوف الله“

هذا المرد، نردِّده في القدَّاس الإلهي مرتين، المرة الأولى بعد تحليل الخدَّام، حين يقول الشعب هذا المرد مخاطباً به الكاهن الذي قرأ التَّحليل. والمرة الثانية يقوله الشَّماس للكاهن، بعد تحليل الآب الذي يُقال في نهاية القدَّاس الإلهي.

وهذا التَّحليل الأخير في القدَّاس الإلهي، والذي لا تعرفه سوى الكنيسة القبطية، وكنائس شمال إفريقيا منذ القرن الرَّابع الميلادي، موضوع هنا أصلاً من أجل الذين كانوا تحت قانون توبة، لكي يعطيهم الشَّجاعة ليشتركو مع بقية المؤمنين بضمير طاهر. ومع الوقت، اتَّسع هذا التَّحليل حتى شمل كلَّ أحدٍ، وكلَّ خطيئة.

ففي الحقيقة، يمكن للشَّعب بأجمعه، والذي قد قبل صلاة التَّحليل من الكاهن، أن يقول له: ليعطيك الربُّ أنت أيضاً الحل والخلاص والغفران. وهذا هو معنى المرد هنا. لأنه بحسب تعليم آباء الكنيسة، مثل القدَّيس يوحنا ذهبي

٤- بحسب مخطوط كسمارسك F. Kacmarcik Codex

5- W.F. Macomber, *op. cit.*, OCP 45 (1979), p. 97.

٦- انظر للأهوية: الأب متى المسكين، الإفنخاستيا والقدَّاس، مرجع سابق، ص ٦٩٨-٧٠٠

الفم، أنه من حق الشعب بأجمعه أن يصلي من أجل الكاهن. أمّا أنّ الشَّماس هو الذي يقول للكاهن ”خلصت حقاً“ في نهاية القُدّاس الإلهي، فهذا مخالف للتقليد الذي يقول بأن الشَّماس لا يبارك ولكن يبارك عليه، ولا تدعمه أيضاً أو تعرفه قداساتنا القبطية حتى القرن الرابع عشر الميلادي في كافة الجهات، بل وحتى إلى القرن السابع عشر الميلادي في بعض الجهات دون بعضها الآخر.

فإنّ البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) هو وحده الذي يذكر ذلك المرد الذي يقوله الشَّماس، حيث يقول في كتابه ”الترتيب الطّقسي“: يصرخ الشَّماس بأعلى صوته قائلاً: *Σωθείς. Ἀμήν. Καὶ τῷ πνεύματί σου. Μετὰ φόβου Θεοῦ προσχῶμεν*. أي: ”خلصت حقاً. ومع روحك. نصت بخوف الله“.

وأما في النصّ اليوناني للقُدّاس الباسيلي الذي نشره العالم رنودو E. Renaudot عن مخطوط من القرن السابع عشر، وأيضاً النصّ اليوناني للقُدّاس الغريغوري: المرد هو *Προσχῶμεν Θεῷ μετὰ φόβου* ”نصت لله بخوف“. وأما مخطوط الفاتيكان رقم (١٧ طقس)، وهو يعود إلى القرن الثاني عشر الميلادي، كأقدم خولاجي قبطي عربي كامل معروف حتى اليوم، فقد أورد مرد الشَّماس السابق ذكره هكذا: ”بخوف الله أحييوا - *μεταφωβοῦ Θεοῦ* προσχωμεν“. أي ”بخوف الله نصت“. وهو نفس ما يذكره مخطوط أكسفورد رقم (٣٦٠ هنت) في النصّ القبطي للمرد، وإن كانت الترجمة العربية قد وردت فيه هكذا: ”بخوف الله أنصتوا“. وهو نفس ما يذكره ابن سباع عن هذا المرد في القرن الثالث عشر<sup>(٧)</sup>.

أي أنّ البابا غبريال الخامس (١٤٠٩-١٤٢٧م) هو وحده الذي ذكر عبارة: ”خلصت حقاً، ومع روحك“، والتي يقولها الشَّماس، خلافاً للمصادر السابق الإشارة إليها. وربما كانت هذه هي إحدى الممارسات التي ظهرت في إحدى الجهات، عن غير دراية بأصول التقليد الكنسي، ولكنها انتشرت حتى تمّ تدوينها في الخولاجي المطبوع سنة ١٩٠٢م.